

ألقى يوسف بجسده على سريره ولكنه لم يجد للنوم سبيلاً يفكر فيها... نعم هي التي أسرت قلبه هي التي عرف الحب من أجلها وهاهي الآن تذهب بعيدة عنه بعدما قرر أن يتغير .....صراع بداخل يوسف يوشك أن يقتله.....

تقف وحيدة يعتليها غضبها الجامح كلما نظرت إليه ..كلما رأتة تذكرت ما فعله معها وكم الألم الذي تسبب فيه ليقطع صمتها صوت سارة صديقتها.

- هايدي يالا بيينا اتأخرنا.

- ها... حاضر قالتها هايدي والحد يملأ قلبها وتتوعد بالانتقام من يوسف ....

التقي يوسف باسلام في الجامعة وأخبره عما مر به من وساوس للشيطان وأفكاره...ليطمئن الآخر صديقه أنه اختبار من الله وعليه أن يستعيز من الشيطان ويستعين بالله من همزات الشيطان.....

ومع اقتراب الامتحانات

ذهبت سديم لتلتقي بمريم في مكانهما المعتاد ..... تنظر كل منهما في عيون الأخرى وتبدأ العيون بالكلام و تصمت الألسنة...لحظات حتى بدأت مريم في البكاء.

- خلاص بقي ما تعيطيش أكيد هنتقابل ثاني إن شاء الله قالتها سديم وهي تبكي محاولة أن تخفف عنها

آلامها ....من الصعب أن تفرق عن تحب....فالقلوب هي أعز ما نملك ولا يملك الأشياء الغالية إلا الغالي .... تتواعد الصديقتان باللقاء مجددا قبل سفرها.

- إن شاء الله هجيلك المطار بردو أسلم عليك.

- لا يا حبيبتي ماتتعيش نفسك قبلها نتقابل ونروح نسلم على إيمان ونقضي اليوم مع بعض.

ترجع مريم إلى منزلها بعد أن ودعت صديقتها وأثناء سيرها تنتظر مريم إلى الأشجار والزهور وكأنها تودعها وداعا بلاعودة.....

تدخل مريم إلى غرفتها بعد أن القت السلام على والدتها ....اقتنعت مريم بأن يوسف لا يصلح لها فقد

رضيت بقضاء الله لها وسيساعدها سفرها على النسيان بعد أن أقسمت أن تجعل قلبها ومشاعرها لله

محافظة عليها .....

تنتظر مريم إلى ذلك الصندوق الذي أعطته إليها سديم ووصتها ألا تفتحه إلا عندما يقترب موعد سفرها

وها هي أيام قليلة وستغادر مودعه صديقتها.

## الفصل الرابع عشر

### ( البكاء على الماضى )

أنا من راودتنى فتاة.

ولم أقل ك يوسف معاذ الله ، واستبقا الباب وقدت قميصى ، وتيقنت الآن أن الشيطان ونيسى ، ها أنا بالذنوب محمل ، هل لى بعودة دون رجوع مفعول ، كلما ثبتت القدم خارت قواي، لضعف النفس وملأت الشهوات الخلايا ، ودت السير وحيداً دون **إنحطاطى** ، سرث قليلاً فلامنى وقال: كيف الآن ومن قبل كنت تطاطى ، أريد حقاً خطوات من الإيمان خاشعةً لخالقها أتوسل بها لعمر أفنيه فى رذائل كنت أتقنها ، فكيف لى بتمنى درة مصونة أتزوجها ، ألى حقّ بامتلاكها ومن قبل كنت بائعها ، بلحظات طالت بوقتها ، وها أنا أنقطها. ( جهاد الكريدي )

تبدأ مريم فى فتح ذلك الصندوق الوردى الذى تفوح منه رائحة طيبة وأول ما أخرجته نقاب ومجموعة من الدبابيس مكتوب عليها قد تعاهدنا على السير معاً ثم تجد ورقة فتبدأ بقراءتها :

- باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى صديقتى وأختى مريم تحية طيبة وبعد :

عندما تقرأين رسالتى سأكون أنا فى حالة يرثى لها من البكاء ، حقاً لا أجد ما أقوله لك سوى أنى أحبك فى الله فطالما كنت أنتِ الوقود الذى يدفعنى للأمام دائماً كنتِ عوناً لى على طاعة الله أتدربين يا مريومة أنتِ أغلى شىء على قلبى؟ كنت أتمنى أن تكونى بجانبى دائماً أتدربين هناك أمراً أخفيه عليكِ كنت أتمناكِ زوجةً لأخى؟ ولكنه لا يصلح لكِ لعل الله يهديه منذ أن سألتكِ لو تقدم لكِ شاب كان صاحب معاصٍ ثم تاب إلى الله وأجبتِ بتلك الإجابة التى انفطر قلبى منها وازداد حبى لكِ ..... نعم الله الله يتوب ويسامح على عباده فكيف بنا؟! .

تنتهى مريم من قراءة تلك الورقة ولكنها لم تكف عن البكاء تبكى على فراق صديقتها وأيضاً تبكى على تلك الكلمة " تمنيتكِ زوجة ليوسف " لتجد نفسها تبكى ولا تعلم لماذا؟ ..... ترى هل حقاً قلبها ينبض تجاه يوسف أم أنها أوهام؟ .... مع كثرة بكائها يغلبها النوم ودموعها على وسادتها.

---

يجلس فادى شارد الفكر يتذكر تلك الأيام التى جمعته بيوسف منذ الطفولة دائماً كان يحقد عليه منذ صغره ويغار منه دائماً لشعوره أن يوسف أفضل منه .... ويقطع شروده صوت سوزى قائلة :

- مالك يا فادى سرحان فى إيه؟

- ها .... لأ مافيش ..... أنا عاوزك تكلمى يوسف وتعملى نفسك بتطمنى عليه.

- إنت مالك حطه فى دماغك ليه كدا؟

- هو لسه شاف منى حاجة ..... دنا هخليه يكره اليوم إالى اتولد فيه.

تتعجب سوزى من كلام فادى الذى يحمل الضغينة والكره ليوسف.

يستيقظ على غير عادته على أذان الفجر بعد أن عاهد الله على الرجوع والتوبة إليه ..... يشعر يوسف بأن ذنوبه تسقط مع كل قطرة ماء وعند ذهابه إلى المسجد تراه والدته وينير وجهها فرحاً وسروراً لرؤية ولدها .

يصل يوسف إلى المسجد ليجد أباه قد سبقه ..... لحظات قليلة وتقام الصلاة يصطف المصلون خلف الإمام.

يشعر يوسف بخوف شديد يسرى في جسده خوف من الله - تبارك وتعالى - وبعد أن قرأ الإمام الفاتحة تلا قوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53).....﴾ ليجد يوسف كلام الله يخترق قلبه شعوراً غريباً يشعره يوسف لأول مرة في حياته وفي سجوده لم يستطيع أن يتوقف عن البكاء ويطلب من الله أن يغفر له وبعد انتهاء الصلاة ينظر والد يوسف إليه ويتسم ابتسامة يطمئن لها القلب فكان يحلم أن يرى ابنه طائعا لله يرجع يوسف بصحبة أبيه إلى المنزل ويذهب إلى غرفته ويخلد إلى النوم .

يعلو رنين هاتفها مما جعلها تستيقظ من نومها فزعه بعد أن رأت من المتصل.

- السلام عليكم ما لك يا مريم في حاجة؟

- وعليك السلام ... لا يا حبيبتي ما فيش... أنا آسفة إنني اتصلت بيكي في الوقت ده ... بس أنا دلوقتي يا مريم في المطار مسافرة الشركة اتصلت بابا وقدمت الحجز عشان في مشاكل هناك ولازم يسافر وهو مصمم ياخذنا كلنا معاه.

- مسافر!... ازاى يا بنتي إنتِ مش قولتي بعد الامتحانات ... طيب وامتحاناتك؟

- مش عارفة والله يا سديم بابا كان مضايق جداً و قال إن هو **وكل واحد** هيخلص باقي الورق بتاع صهيب و أسر.

- طيب أنا جياالك دلوقتي.

- لا ما تتعبيش نفسك الوقت متأخر وأنا اتصلت بيكي قبل ما أسافر أسلم عليكي... الطائرة ناقصها ساعة واحدة.

- لا هنلحق إن شاء الله.

أغلقت سديم الهاتف وذهبت مسرعة إلى غرفة يوسف وتطرق عليه الباب بطريقة مفزعة....

- مالك يا سديم في حاجة حصلت؟

- بعد إذنك يا يوسف تعالى وصلني المطار أسلم علي مريم بسرعة لأن طيارتها كمان ساعة.

- مريم!! هي مش مسافرة بعد الامتحانات.

- هفهمك في الطريق بس بالله عليك بسرعة عقبال ما استأذن من بابا وماما.

يتجه يوسف وسديم إلى المطار بعد أن وافق والدهما ..لم يفكر يوسف في شيء إلا رؤية مريم حتى لو كانت المرة الأخيرة.

تتصل سديم بمريم ولكن هاتفها مغلق فربما تكون قد ركبت طيارتها.

وفي المطار تنتظر مريم سديم وتتمني لو أن تحتضنها للمرة الأخيرة.

- يالا يابنتي اتأخرنا أوي كدا.

- خلينا شوية بس يابابا معلش.

- إحنا آخر ناس يا بنتي و الطيارة خلاص على وشك.

- حاضر يا بابا.

قالتها مريم و دمعاتها تسقط خلف نقابها...تمنت لو كانت ترى صديقتها.

تصل سديم و يوسف إلى المطار ولكن ترى هل أفلعت الطائرة؟

- بعد إذنك الطيارة اللي رايحة السعودية طلعت و لا لسة..... قالها يوسف لموظف المطار.

- ثانية واحدة يافندم..... ربع ساعة بس يافندم و هتطلع.

- طيب صالة كام بعد إذنك.

- صالة 4

يركض يوسف مسرعاً وكأنه نسي أن سديم معه..... يبحثان عن صالة 4... لحظات قليلة حتى وصلا

إليها...ينظران من حولهما ولكن لا جدوى لم يجدا شيئاً.

تراهما مريم وقد تفاجأت بمنظر يوسف وهو يبحث عنها كالمجنون في كل مكان...تلوح بيدها لسديم

من خلف الزجاج ولكن لا جدوى فهي لا تستطيع أن تراها.

أفلعت الطائرة مخلفة وراءها شوقاً وحنيناً إلى أرض الوطن.

- يا لا بينا ياسديم الطيارة طلعت خلاص.

- يعني كدا خلاص يا يوسف مش هشوفها تاني؟

- لا إن شاء الله ترجع بالسلامة.

يرجع يوسف وسديم إلى السيارة....وفي طريق الرجوع لا يصدق يوسف ماحدث للتو يقول في نفسه "

كنت سأعترف أنني تغيرت من أجلها كنت سأقول إنني أحببتها حقاً" لتتفاجأ سديم بيوسف وهو يضرب بيده

مقود السيارة و يقول:

- ليه ... ليه دا انا ابتديت أتغير عشائك.

تفاجأت حفصة بكلام أخيها ليقطع شروده صوتها قائلة:

- إنت حبيتها يايوسف؟

## الفصل الخامس عشر

### ( اعتراف )

لا نعرف بقدرهم إلا عندما نفقدهم.....

وقعت الكلمة على مسمع يوسف كأن أحداً أنقذه من صراعه الداخلي لا يدري ما يقوله ولكنه ترك العنان

لقلبه ليبوح عما بداخله ....نعم أحبها لا لا لا...بل أعشقها فهي مختلفة عن غيرها.. شعرت بشيء ما

يجذبني نحوها ترى ما هو؟.... أهو حياؤها أم أخلاقها؟ فأنا لم أر فتاة مثلاً قط..تغيرت لأجلها نعم

أعترف فهي كانت سبباً في تغيري ولكن أين هي الآن؟ هكذا حدث يوسف نفسه...ويقطع شروده مرة

أخرى صوت سديم وهي تقول:

- يوسف رد عليا.

- أيوة يا سديم حبيتها واتغيرت عشانها كنت جاي وناوي أقولها.

ابتلعت سديم غصتها فور سماع كلام يوسف فهذه المرة الأولى التي ترى فيها يوسف يتحدث بصدق  
تغير يوسف كثيراً لم يكن يبالي من قبل نحو أي شيء كان دائماً يصاحب الفتيات ولا يهتم لأي شيء كان  
لا يشعر بأي شيء **تجاههم**... ولكن حياء مريم وأخلاقها بل وعفتها أجبرت كل من يراها ويرى أمثالها  
على احترامها وتوقيرها.

فجمال الفتاة في حياها وعفتها وأخلاقها فتصبح كوردة بداخل البستان تفوح منها رائحة أزكى من  
الريحان.

تنساقط دمعات سديم حزناً على أخيها ولا تدري ماذا تفعل من أجل أخيها؟ فهذه المرة الأولى التي  
يصارحها بمشاعره نحو شخص ما... طالما تمننت أن يصبح يوسف مثلاً للأخ الذي يحتوي أخته... تحاول  
سديم أن تواسي أخاها وتجمع ما تبعثر منه من مشاعر. تداوي جراحه. تُطمئن قلبه. وتوعده بأنها ستقف  
بجانبه.

أطفاً وعد سديم قليلاً من ذلك البركان الذي ثار بداخل يوسف ويشكرها على ما تفعله من أجله.. يلتقط  
أنفاسه بعدما شعر أنها انقطعت عنه ويقود سيارته عائداً للمنزل.

-----

يلتقي إسلام بيوسف ليجلسا سوياً و يبدو القلق والارتباك عل إسلام.

- مالك يا إسلام شكلك عاوز تقول حاجة؟

- ها ... لا ما فيش بس كنت عاوز آخذ رأيك في حاجة.

- اتفضل قول.

- بصراحة يا يوسف إيه رأيك فيا؟

ينظر يوسف إليه مبتسماً قائلاً له:

- مش فاهم تقصد إيه؟

شعر إسلام أن يوسف فهم شيئاً ما.

- أقصد يا يوسف رأيك بجد من كل حاجة.

- شاب ربنا يبارك فيك وعلى دين وخلق ومكافح.

- طيب يا يوسف أنا قررت أخطب قالها إسلام وحالة من الارتباك تظهر عليه.

- بجد مليون مبروك يا إسلام إنت تستاهل كل خير... بس مين سعيدة الحظ ديه؟... قالها يوسف والسعادة  
تملاً قلبه.

ارتبك إسلام ثم لملم شمله وجمع قوته وقال:

- سديم أختك يا يوسف.

صمت يخيم على يوسف ولا يعرف بمَ يجيب صديقه؟ وتراوده العديد من الأسئلة... كيف عرفها؟... وأين  
التقى بها؟ .. هل تقابلنا؟... ليقطع شروده صوت إسلام قائلاً:

- كنت عارف إني مش مناسب إني أطلب إيد أختك... قالها إسلام ونبرة من الحزن تخيم عليه.

يسرع يوسف في إدراك الموقف قائلاً:

- يا بني إنت فهمت غلط ..بس إنت تعرفها منين وشوفتها فين.
- إنت نسيت إن إيمان أختي بتحفظها هي ومريم صحبتها....وبصراحة هي اللي رشحتها بس حبيت آخذ رأيك أنت الأول.

شعر يوسف أن إسلام صادق في كلامه مما زاد اطمئنان قلبه.

- طيب يا إسلام أنا هفاتح بابا وماما وآخذ رأيها طبعاً وهارد عليك وأنا عن نفسي مش هاطمن على أختي إلا معاك....طالما تمنى يوسف أن تكون أخلاقه مثل أخلاق إسلام وتدينه.

-----

- تجلس عائلة المهندس عبد الله على مائدة الطعام وسط سعادة لم يشعروا بها من قبل.
- بابا عاوز أكلم حضرتك في موضوع بعد الأكل.
- حاضر يا حبيبي.
- يجلس يوسف مع والده في غرفة الصالون ويبدأ يوسف بالحديث قائلاً:
- بابا في واحد صحبي كان عاوز يجي يطلب إيد سديم.
- وده يابني دينه عامل إزاي وأخلاقه؟
- بدأ يوسف في التحدث عن صديقه حتى أن والده أحبه دون أن يراه.
- ولم لا؟ ومن كان همه رضا الله أحبه الله ونادى جبريل فيحبه ثم أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.
- وافق الوالد على الرؤية الشرعية ولكن طلب من يوسف أن يتكلم مع أخته...أسرع يوسف إلى غرفة سديم ويطرق بابها قائلاً:
- سديم..سديم.
- ادخل يا يوسف.
- عاوز أتكلم معاك في موضوع.
- امممم....شكلك كذا عاوز حاجة.
- يضحك يوسف ويجلس بجانب أخته على سريرها..
- سديم.. مش عارف والله أقولها إزاي.
- في إيه يا يوسف قلقنتي.
- مبروك يا سديم.
- مبروك على إيه؟
- في حد طلب إيدك يا ستي.
- يقع الخبر على قلب سديم كالصاعقة ...

الفصل السادس عشر

( تتلاقى الأرواح )